قصة معسكر دراسي

الدكتور منير كامل
المدرس بقسم التربية وعلم النفس

بدأت هذه القصة فى إحدى حصص التربية بمعهد التربية العالى للمعلمين بالاسكندرية عام ١٩٥٣ ، حيث كان طلبة شعبتى العلوم والآداب يبحثون مشكلة توثيق العلاقة بين المدرسة والبيئة . وقد عبر أحد الطلبة عن هذه المشكلة أصدق تعبير حين قال : «إن مدارسنا أشبه ما تكون بجزر منعزلة عن العالم المحيط بها بموانع كثيرة ، وقلما يحاول سكان هذه الجزر عبور هذه الموانع للتعرف على ذلك العالم ، وكل مايبذلون من جهد هو أن يقرأوا عنه فى الكتب ، فلا عجب إذا خرج الطالب بعد ذلك إلى الحياة العامة وهو لا يعرف عن مشكلات بلاده الاجتماعية والاقتصادية والسياسية إلا ما قد يقرؤه عنها فى الصحف والمجلات. » .. وكان من الطبيعى بعد ذلك أن تدرس وسائل إقامة معابر فوق تلك الهوة السحيقة التى تفصل مدارسنا عن المجتمع وقادنا البحث إلى مناقشة المعسكرات الدراسية ووسائل الاستفادة منها .

وأخذت أحدثهم عن تلك التجارب الجريئة التى قامت بها بعض مدارسنا المصرية بقصد توثيق الصلة بين المدرسة والبيئة ، فذكرت لهم على سبيل المثال معسكر الأورمان الثانوية النموذجية الذى أقامته فى مدرسة سنورس عام ١٩٤٧ لدراسة إقليم الفيوم ، وكذلك معسكر معهد المعلمين الابتدائى بأسيوط عام ١٩٤٨ لدراسة قرية « ريفا » . ولما كنت قد اشتركت فى هذين المعسكرين فقد كان من السهل على أن أعطيهم صورة شاملة عنها ، وعن مقدار ما صادفناه من نجاح

(١) كان كاتب هذا المقال يشتغل مدرسا للتربية بالمعهد فى ذلك الوقت .

كان الطلبة يستمعون إلى هذا الأسلوب الجديد فى التربية بشغف زائد ، وما أكاد انتهى من حديثى حتى تساءل أحدهم : « لماذا لا نقوم نحن بتنظيم معسكر دراسى يكون هدفه الأساسى تدريبنا على هذا النوع من الدراسة . حتى يستطيع كل منا بعد تخرجه أن يطبق الفكرة تطبيقا صحيحا مع تلاميذه؟ » . وصادفت الفكرة ترحيبا منى ، واستحسانا من الجميع ، وشرعنا نفكر فى التنفيذ .

وفى اليوم التالى قدمت اقتراحات عديدة لبيئات مختلفة تصلح للدراسة . وبعد مناقشة طويلة ، وقع اختيارنا على «إدكو» نظراً لقربها من الاسكندرية ولما فى بيئتها من تنوع ، ولما كانت تجتازه تلك القرية فى ذلك الحين من وقت عصيب بسبب سوء حالتها الاقتصادية . وضاعف من حماسنا لدراسة إدكو ، ما نشرته مجلة التحرير فى عددها الصادر فى ١١ مارس ١٩٥٣ تحت عنوان « الجوع يجتاح إدكو . ! »

الاستعداد للدراسة

وبمجرد اتفاقنا على مكان الدراسة ، قمت بزيارة استكشافية لإدكو ، وقابلت المختصين هناك ، وعملت الترتيبات اللازمة الخاصة بالإقامة والتغذية كما أخذنا التصاريح اللازمة لزيارة الأماكن الهامة فى المنطقة .

وعقب عودتى قمت بإعداد « دليل للدراسة » ، وزع على الطلبة . وقد قصد منه توجيههم إلى أهم مشكلات إدكو ومظاهر الحياة فيها، دون أن يكون فيه ما يقيد حرية البحث أو الاكتشاف . وحددنا مدة الدراسة بثلاثة أيام ووضعنا الخطوط الرئيسية للدراسة ، كما اتفقنا على ما نأخذه معنا من الأدوات والأجهزة اللازمة لنا فى تلك الدراسة .

وفى صبيحة يوم الخميس ١٩ مارس تحرك بنا القطار إلى إدكو ، وشرعنا فور وصولنا فى القيام بدراسة القرية التى ألخصها فيما يلى :

قام الطلبة بدراسة النواحي الآتية :

أولا : دراسة مشكلات حفظ موارد الثروة الطبيعية وتنميتها :

الثروة المائيـــة :

يعتبر السمك أهم مورد من موارد الثروة فى إدكو . وقد درس الطلبة أنواع الأسماك التى تعيش فى بحيرة إدكو ، وسألوا الصيادين عن طرق صيدها وتعتبر البحيرة أغنى بحيرات مصر من حيث الثروة المائية .وقد زاروا مصلحة خفر السواحل فى إدكو، واطلعوا على تقاريرها.وعرفوا أن محصول السمك لسنة ١٩٥١ بلغ ٢٠٠٠ طن تقريباً . أما بعد ذلك فقد قل كثيراً بسبب تجفيف ثلاثة آلاف فدان من البحيرة . وإهمال تطهيرها مما أدى إلى تكاثر النباتات والحشائش الضارة بالأسماك .

وقد عرف الطلبة القوانين واللوائح التى تنظم عملية صيد السمك فى البحيرة والتى تستهدف حفظ تلك الثروة وتنظيم استهلاكها . ومن هذه القوانين منع الصيد فى بوغاز المعدية (الذى يصل بين البحيرة والبحر الأبيض المتوسط) حيث ترعى المصلحـــة الأسماك الصغيرة (الزريعة) ، كما يحرم على الصيادين استعمال الجوابى . والجوبية عبارة عن كيس من السلك له فتحة صغيرة على شكل قمع ، وعيونها ضيقة . فلا يسع منها الصغار من الأسماك . وعرف الطلبة كذلك الغرامات التى توقع على المخالفين لتعليمات مصلحة خفر السواحل .

ويقوم الأهالى بصيد السردين الذى يكثر فى شهر أغسطس وسبتمبر . ومن الطريف أن الأهالى يهاجرون مع هجرة السردين . فيتبعونه إلى الإسكندرية أو البرلس أو بورسعيد .

وقد أحس عملية بدى مياه الأخير من تخفيف جزء كبير من البحيرة التى تعتبر مصدراً للرزق بالنسبة لمعظمهم ويطالب الأهلى مصلحة مصايد الأسماك بإمداد البحيرة بقدر كاف من ذريعة السمك ، مع العمل على إنشاء مزرعة تربية السمك بجوار هذه البحيرة . وسرعة تطهير البحيرة من النباتات والأعشاب التى تعوق عملية الصيد . والسماح باستخدام الشباك السلكية (الجوانى) بسعة معقولة ، وتسعير أدوات الصيد ، وتخفيض الضرائب المقررة عليهم .

الطيور :

وقد اهتم الطلبة بدراسة طيور المنطقة . وقد أعد رجال خفر السواحل مركبين شراعيين ، وهيئوا لنا جولة فى البحيرة . وشاركنا فى هذه الجولة عميد المعهد ، وبعض الأساتذة ولفيف من رجال خفر السواحل .

وقد شاهدنا كثيراً من أنواع الطيور وهى تحلق فى الجو ، واصطاد أحد الصيادين الذى كان يرافقنا بعض تلك الطيور ببندقيته . وأخذ الطلبة يسألون عن أسماء الطيور فعرفوا منها : النورس ، والخطاف ، والشرشير ، وهى طيور شتوية تصل إلى البحيرة من جنوب وأواسط أوربا مثل البلقان والمجر ورومانيا وبولونيا ، وهى ترحل فى فصل الخريف سعياً وراء الطعام ، فتدفعها الرياح إلى الجنوب ، فتعبر البحر الأبيض المتوسط فى أسراب ، حتى إذا بدا لها الشاطىء تهبط منهوكة القوى ، تتغذى بما يتيسر لها من أسماك ونباتات . وتصاد فى أواخر الخريف حتى أواخر الشتاء . أما البقية الباقية التى نجت بحياتها فتعود إلى بلادها .

وعرف الطلبة أيضاً أن هناك طيوراً صيفية تفد من تركيا مثل السمان ، وتصاد إما بالبنادق أو بإلقاء نماذج خشبية تشبه الطيور تماماً على سطح الماء فتحط عليها الطيور ، فيطرح عليها الصيادون شباكهم .

التربة :

وقام فريق من الطلبة بأخذ عينات من التربة لتحليلها ، كما عرفوا أن الأهالى فى إدكو يمتلكون مساحة لا تقل عن عشرة آلاف فدان من الأراضى الرملية الصالحة للزراعة . وقد وضعت الحكومة مشروع إنشاء ترعة لرى تلك الأراضى . وحتى وقت زيارتنا لإدكو ، كانت الأراضى تتعطش لقطرة من مياه تلك الترعة المرسومة على الورق .

ملح الطعام :

وفى أثناء تجوالنا ، طالعتنا أكوام بيضاء من الملح ، وشاهدنا الملاحات التى تمتلكها الحكومة ، وتعرضها للاستغلال عن طريق المزاد العلنى . وعدد العمال المشتغلين فى الملاحات حوالى ١٥٠ عاملا . ولا ينقى هذا الملح التنقية الكافية نظراً لبعد الملاحات عن محطة التكرير بالمكس ، وكثرة النفقات التى يتكلفها لو نقل إلى محطة التكرير . ويستعمل الأهالى الأنواع النظيفة منه فى الطعام . غير أن رجال الصحة أثبتوا عدم نقائه . وتستخدم الأنواع الرديئة منه فى دبغ الجلود ، وضرب الأرز ، وصناعة الثلج .

أماكن التنزه :

الجزء المقابل لإدكو من ساحل البحر الأبيض رملى ومنخفض وعريض ، ويصلح بذلك لأن يكون مصيفا ممتازاً ، ولا ينقصه إلا شق طريق مرصوف يصل البلدة بالساحل ، حتى يتيسر الوصول إلى المصيف . كما ينبغى إنشاء بعض الأكشاك الخشبية على طول الساحل . وبذلك يمكن تنشيط حركة الاصطياف به فى فصل الصيف ، ويصير مورداً هاماً من موارد البلدة .

ثانيا : دراسة مشكلات تنمية الإنتاج الزراعى والحيوانى والصناعى :

درس الطلبة النباتات التى تزرع فى إدكو ، وعرفوا أن معظمها يعتمد على مياه الأمطار التى تسقط شتاء . فى الأراضى الرملية الواقعة بين البلدة وشاطىء البحر ، نجد النخيل والعنب والتين والطماطم والبطيخ . ويعيش الأهالى فى أكواخ مصنوعة من البوص لحراسة هذه المزروعات حتى إذا نضجت قاموا ببيعها أو تصديرها إلى المناطق المجاورة .

وليس فى إدكو فلاح بالمعنى المفهوم ، أى يعتمد كل الاعتماد على الزراعة ، وذلك لأن الزراعة تتطلب رأس مال ينوء به الفقراء . أما الميسورون من أهالى إدكو فقد اشتروا أرضاً زراعية بجهة البوصيلى التى تبعد ١٤ كيلومترا عن إدكو .

وأهم الحيوانات المستخدمة فى إدكو هى : الحمير والجمال وبعض الخيول وتعنى النساء بتربية الدواجن على اختلاف أنواعها، وقد كتب أحد الطلبة فى مذكراته « كثيراً ما رأينا ونحن نزرع شوارع إدكو ، تلك المخلوقات اللطيفة تمرح فى هدوء ودعة . وتكاد تسد علينا الطريق ، ولشد ما تعجبنا كيف يميز الأهالى دجاجهم ، وقد اختلط بدجاج الجيران » . وكثرة الدجاج يفسر لنا توافر البيض ، ورخصه نوعاما ، ولذا يصدر البيض إلى الإسكندرية .

أما الصناعة فتكاد تنحصر فى دائرة ضيقة هى صناعة النسيج اليدوى . وهى مهددة بالانقراض ، وذلك بسبب منافسة شركات النسيج الميكانيكى لها . ولقد ازدهرت صناعة النسيج اليدوى بمصر ازدهاراً كبيراً خلال الحرب العالمية الاخيرة . ولكن ما كادت الحرب تضع أوزارها حتى أهملت بسبب منافسة صناعة النسيج الميكانيكى لها .

وقد سأل بعض الطلبة عن دخل النساج ، فعرفوا أن ما ينسجه الرجل

فى اليوم الواحد يقدر بحوالى خمسة أمتار . يكسب فيه عشرة قروش فقط !

ويطالب الأهالى بإنشاء شركة لصناعة الغزل والنسيج الميكانيكى بإدكو . كما يطالبون الحكومة بتوصيل التيار الكهربائى إلى إدكو من إحدى محطتى تصرف الكهربيتين بالبوصيلى أو بحلق النخل ، وكلتا المحطتين . لاتبعدان عن إدكو بأكثر من عشرة كيلومترات . وعندئذ تكون العقدة الكبرى فى سبيل إنشاء مصنع كبير للنسيج الميكانيكى قد حلت .

وفى أثناء مناقشة وسائل تنمية الإنتاج فى إدكو اقترح الطلبة ما يأتى

١ — إنشاء معمل تفريخ نظراً لكثرة البيض فى إدكو .

٢ — إنشاء مصنع للثلج لأن الصيادين يلقون صعوبة فى الحصول على الثلج الذى يرد إليهم من الاسكندرية ورشيد ، وقد يسبب تأخر وصوله إليهم تعفن السمك الذى يصطادونه .

٣ — إدخال صناعة صلصة الطماطم نظراً لتوافر الطماطم هناك .

٤ — إدخال صناعة السمك المحفوظ والمملح .

ثالثا : دراسة مشكلات استغلال الموارد البشرية :

لاشك أن الأطفال والشبان والرجال والنساء هم أهم مورد من موارد المجتمع . ومن الواجب العناية بتنمية قدرات ومواهب كل فرد إلى أقصى حد ، لكى يستخدمها فى نفع نفسه ورفع شأن المجتمع . ولن يتيسر لنا ذلك إلا إذا قضينا على العوامل التى تعوق الانتفاع بالموارد البشرية مثل : الجهل والفقر والمرض والإجرام والتعرض للحوادث . وقد قام الطلبة بدراسة هذه العوامل .

التعليم :

قام الطلبة بزيارة مدرسة إدكو الابتدائية الثانوية ، ولفت نظرهم أن

التعليم فى ترك المدرسة مختلط . نظرا لعدم وجود مدرسة ثانوية للبنات. وقد أجمع القائمون على شئون المدرسة على نجاح التعليم المختلط . وقد شكا المدرسون من قلة المساكن الصالحة فى إدكو . الأمر الذى يضطرهم للسكن خارج إدكو ، ولذلك يعانون مشقة الانتقال يومياً إلى المدرسة . كما زار الطلبة المدارس الأخرى مثل : مدرسة دار السلام الابتدائية ، ومدرسة الشعب، ومدرسة روضة أطفال إدكو . ومدرسة رقى فتاة .

والمدارس عاجزة عن استيعاب جميع الملزمين من أبناء إدكو ، إذ أن عدد الملزمين فى عام ١٩٥٤ قد بلغ ١٥٠٠ طفلا وطفلة ، مع أن عدد الأماكن لا يتسع لأكثر من ٢٥٠ طفلا فى العام .

وإقبال الشعب على قراءة الصحف والمجلات ضعيف ، ويفضل أغلبية الشعب قراءة المجلات الدينية . ولا يستمع الأهالى للإذاعة لقلة عدد أجهزة الراديو فى البلدة .

أما من حيث مناهج الدراسة فهى لا تختلف عن نظيراتها فى أى بيئة أخرى ، فليس فيما يدرسه التلاميذ فى إدكو أى صدى لمشكلات البيئة وحاجاتها.

أما كان ينبغى أن يتضمن المنهج مثلا مشكلة تنمية موارد الثروة الطبيعية وعلى الأخص الثروة المائية ؟ ومشكلة استصلاح الأراضى الرملية البور الواسعة وتوصيل مياه النيل لريها ؟ ومشكلة زيادة الإنتاج المحلى ؟ ومشكلة تحديد النسل المتزايد ؟ . ثم لماذا لا يتعلم التلاميذ بعض الصناعات الريفية الملائمة للبيئة المحلية مثل تجفيف البلح وتمليح الأسماك وحفظها ، وصناعة الأقفاص والأسرة والمقاعد من جريد النخل المنتشر فى إدكو ؟ ثم صناعة النسيج والسجاد ؟ . لماذا لا يتعلم التلاميذ فنون الزراعة الصحيحة سيما وأن الأهالى مقبلون على حياة جديدة أساسها الزراعة بعد تجفيف جزء كبير من البحيرة ؟ ثم ماذا أعد لتعليم الفتيات اللاتى يبلغ عددهن حوالى ستمائة طالبة، وأكثرهن لا يواصلن التعليم الثانوى لأنهن يتزوجن مبكرات ؟ أما كان من الأفضل إعداد

دراسات خاصة لمن تؤهلهن لاضطلاع بحياتين الزوجية المقبلة . فتسهم المدرسة بذلك فى إعداد الأم المستنيرة ؟ . ألا يجدر بنا أن نحول إحدى مدارس إدكو إلى مدرسة للقرية (Community School) تكون عاملا فعالا لإنهاض القرية ؟ . . لاشك أن كل تعليم لا يساعد الأفراد على سد حاجاتهم ولا يدربهم على استغلال كل الإمكانيات التى توجد فى البيئة التى يعيشون فيها، هو تعليم قاصر إلى حد بعيد .

الصحة :

قمنا بزيارة المستشفى الذى يشغل مبنى غير لائق . ويقوم بالخدمة فيه طبيب واحد يشرف على الناحية الوقائية والعلاجية معاً ، إلى جانب إشرافه على مركز رعاية الطفل والإسعاف ، كما يقوم بعمل الصيدلى ! وطبيعى أنه لا يستطيع أن يؤدى واجبه على الوجه الأكمل فى ظل هذه الظروف .

ويتراوح عدد المترددين على المستشفى يوميا من ٣٠٠ : ٣٥٠ مريضا . ويعاون الطبيب ٧ من الترجمة ، ومرضتان ، وثلاث مولدات .

وتوجد بالبلدة عربة إسعاف واحدة فى حالة غير مرضية . ويوجد بجانب المستشفى حمام شعبى يستخدمه الرجال فقط .

وقد بلغ عدد المواليد ١٦٨٦ طفلا فى عام ١٩٥٢ بنسبة ٤٤ فى الألف ، بينما بلغت نسبة الوفيات فى السنة نفسها ١٣ فى الألف .

والعمل جار لبناء مبنى جديد للوحدة الصحية على قطعة من الأرض موازية لخط السكة الحديد ، ولكن ظهر به خلل نتيجة لعدم صلاحية الأرض للبناء لتشبعها بالماء .

وزار الدارسون محطة مكافحة الملاريا التى أنشئت عام ١٩٣٩ ، وعرفوا قصة إنشائها وكفاحها المضنى المستمر فى القضاء على بعوض الملاريا هنالك .

وشوارع إدكو غير مرصوفة ، ولذا لا يمكن تنظيفها النظافة الواجبة .

وأغلب المساكن غير صحية . وتنتشر أمراض سوء التغذية بين الأهالى نظراً للمستوى المنخفض الذى يعيشون عليه . وتفتقر البلدة إلى متنزهات . كما أن معظم الأهالى لايمارسون الألعاب الرياضية .

الأمن :

زرنا نقطة البوليس ، ويرأسها يوزباشى . وتمتاز إدكو باستتباب الأمن فيها . ومعظم الخلافات التى تقع عبارة عن مشاجرات بين الأهالى تنشأ عن خلافات على العمل أو الممتلكات أو المناصب . أما جرائم القتل فتكاد تكون معدومة ، كما أن حوادث السرقة قليلة .

وقد اطلعنا على إحصائية الحوادث عن عام ١٩٥٢ فوجدنا أنها تشمل ٤٥٠ جنحة ، منها أربع جنح مخدرات ، وخمسمائة مخالفة صيد .

البطالة :

العمل الرئيسى للسكان هو صيد السمك . وقد حدثنا الأهالى عن الكساد الذى يلقونه فى الوقت الحاضر ، حديثاً كله ألم وأسف وحسرة ، فقد كان لتجفيف مساحة واسعة من البحيرة المواجهة لإدكو أثر كبير فى هذا الكساد . ويوازن الأهالى بين النفع الذى عاد عليهم من تجفيف هذا الجزء من البحيرة من حيث هبوط نسبة الإصابات بالملاريا ، وبين ماجره عليهم من تعطل وفقر وكساد ، فلا يجدون أية فائدة من التجفيف . وحتى تلك المساحة المجففة لم يستغل الجزء الأكبر منها حتى الآن فى الزراعة .

أما صناعة النسيج فليس حظها أحسن من حظ مهنة صيد السمك ، فبعد أن كان هنالك ١٠٠٠٠ عامل نسيج يعملون بالبلدة ، لايشتغل منهم الآن سوى مائة عامل فقط ، والباقى إما متعطل بالبلدة ، أو مشرد خارجها نتيجة لكساد هذه الصناعة بعد انتشار صناعة النسيج الميكانيكية وإغراقها السوق بمنتجاتها .

ويشتغل فريق من الأهالى بتجفيف السمك وصناعة العجوة . ولكنها صناعة بدائية . ومن الممكن التوسع فيه . واستيعاب مزيد من الأيدى العاملة . وذلك بالإكثار من زراعة النخيل ، وصناعة العجوة على نطاق واسع بطريقة صحية ، وتصديرها إلى المدن الأخرى .

وعدد المشتغلين بالزراعة قليل ، ولكن من الممكن التوسع فى الزراعة لو شقت ترعة من النيل تصله بإدكو ، حينئذ يصير من الممكن زراعة جميع الأراضى المجففة من البحيرة . إلى جانب الأراضى غير المزروعة حالياً فى إدكو وأطراف المدينة . وبذلك تستوعب الزراعة عدداً لا بأس به من الأيدى العاملة .

رابعاً : دراسة مشكلات اتصال إدكو بالبلاد الأخرى :

ترتبط إدكو بالاسكندرية بخط حديدى فردى . ويمتد إلى مدينة رشيد التاريخية . ولهذا الخط أهميته التجارية لأنه يعتبر الشريان الهام الذى تصب عن طريقه كميات هائلة من الأسماك . وأم الخلول والجمبرى فى مدينة الاسكندرية . كما يقوم هذا الخط بنقل المنسوجات التى تقوم بصناعتها المناسج اليدوية فى إدكو ، وكذلك البلح والفواكه مثل البطيخ والليمون . كما أن هنالك طريقاً مرصوفاً يمتد من الاسكندرية حتى رشيد ويمر بإدكو وتسير فيه السيارات .

وهنالك خط تليفونى يمتد إلى إدكو ويستعمل غالباً لأغراض تجارية . كما أن بإدكو مكتب للتلغراف يزداد الضغط عليه فى المواسم التجارية .

خامساً : دراسة الحياة الاجتماعية فى إدكو :

درس الطبة أعمال السكان ونظام الأسرة . وقد يسترعى النظر ذلك التعاون الوثيق بين الرجل وزوجته فى كسب العيش . فالرجل يضرب فى البحر أو البحيرة أو فى كليهما ، والمرأة تظل بالمنزل تضفر الخوص لعمل

« المقاطف » أو تغزل الحرير ، أو تصنع الشباك ، وتصنع العجوة . وتربى الدواجن ، وتقوم بما يتطلبه المنزل من أعمال . أما الفتاة الإدكوية فإنها دؤوب ، تعمل طول اليوم فى تطريز الملابس ونسج الشباك وتجميل أطراف الشيلان الحريرية بعقد محبوكة دقيقة . وتتجر فى البيض والعجوة والدواجن وتوفر ماتكسبه لتساعد والديها فى تجهيزها للزواج .

كما درس الطلبة ملابس الرجال والسيدات صيفاً وشتاء ، وطعامهم ، وعاداتهم ، وأهم مايميز الأدكويين الدأب على العمل . والتبكير فى الاستيقاظ والاقتصاد . وكل ذلك ناتج من أن الطبيعة هنالك بخيلة بخيراتها ، وهذا ما يدعوهم إلى السعى وراء الرزق بجد ومثابرة .

والدين يملأ نفوسهم ، لأنهم من البحر يرزقون ، فنصيبهم من الحياة ليس مضموناً ، فتراهم يقومون يومياً مبكرين حاملين شباكهم ومتجهين إلى السماء داعين أن يرجعوا وأيديهم ملأى بالرزق الحلال . وما دام للدين هذه القوة فى نفوسهم فإن الزواج يتم فى سن مبكرة ، فلا يكاد المراهق يستقبل شبابه حتى يجد عروسه تزف إليه . وترتب على ذلك عدم وجود أمراض عصبية ناشئة عن الكبت ، وكذلك انعدام الأمراض السرية .

سادساً : أدب من وحى البيئة :

جمع الطلبة كثيراً من الأغانى والأمثال المنتشرة بين الأهالى . ودرسوا مدى تأثرها بالبيئة المحلية .

وهذا مقطع من أغنية أدكوية ، تلمس فيها أثر البيئة الطبيعية :

ما حد خالى من الهم حتى قلوع المراكب
ماتقولش للنسمة ياعم ولو كان على السرج راكب

وأمثال الأهالى هناك تعبر تعبيراً صادقاً عن أثر البيئة فى حياتهم . وهذه بعض أمثالهم : —

« فلان رى المدفع بمصدتى » يضرب بالمدى ، ومصدر هذا المثل المدافع القديمة المعطلة الموجودة على ساحل البحر .

« نحضر المقالى والسمك فى البحر »

« كل بركة ولها بلاشون » . ومعنى المثل . لكل بيئة سكانها .

« اللى مايعرف مافى عقل صيده لا يستصيح صيده » . كناية عن ضرورة الوثوق من طوية الغريم قبل التغلب عليه .

* * *

والآن قد وصلنا إلى خاتمة المطاف يجدر بنا أن نتساءل عما أفاده الطلبة من هذه الدراسة . الواقع أن هذه الدراسة — على الرغم من قصرها وقصورها — قد حققت كثيراً من الأهداف التربوية . بل لعلى لا أبالغ إذا قلت إن الطلبة تعلموا فى ثلاثة أيام ما لعلهم لا يستطيعون تعلمه فى شهور . فلقد أتاحت لهم هذه الدراسة فرصة طيبة لتعلم طرق البحث والاكتشاف والاتصال المباشر بالبيئة ، بكل مافيها ومن فيها . وتدربوا على المشاهدة المنظمة ، والمناقشة ، وتحرى الدقة فى جمع البيانات . وطرق معاملة الناس . وأهمية تسجيل النتائج وتنظيمها ، والاهتمام بمشكلات الغير ، والسعى لرفع مستوى البيئة المحلية . . كل ذلك بطريقة عملية منتجة . كما سادت بينهم خلال هذه الدراسة وبعدها روح تعاونية عالية . فتآزروا على بحث المشكلات والتفكير فى حلها .

وفى هذه الدراسة المتشعبة الشاملة . تلاشت الحواجز الصناعية التى تفصل عناصر المعرفة الإنسانية بعضها عن بعض . وصار كل طالب يبحث المشكلة التى تقابله من جميع نواحيها ، لا يهمه فى ذلك إن كان بعض مظاهرها يدخل فى نطاق مادة تخصصه أو لا يدخل . وبذلك تعلم ضرورة النظر إلى المشكلات من زواياها المختلفة .

وقد أتاحت لى هذه الدراسة فرصة فريدة للتعرف على الطلبة فى جو طبيعى لا تكلف فيه ، وتوثقت بيننا أواصر الصداقة ، كما كانت فرصة لكشف كثير من مواهب الطلبة وقدراتهم وبخاصة فى فقرات السمر التى عقدت فى المساء .

وقد قام بعض الطلبة بعد عودتهم إنشاء متحف بسيط يضم ما اصطادوا من طيور إدكو ، وما أحضروه من أسماكها ، وما جمعوه من أصدافها وأحجارها وتربتها ونباتاتها وأملاحها .

ولقد ماسرنى أنى لاحظت تغيراً محسوساً فى سلوك الطلبة خلال فترة التمرين العملى المتصل الذى جاء عقب العودة من المعسكر . فقد قام كثير منهم برحلات وزيارات مع تلاميذهم فى المدارس التى كانوا يتمرنون فيها ، وكان أغلبهم يقوم بإعداد « دليل للدراسة أو الرحلة » ، وبذلك سرت فيهم روح الجرأة والإقدام بعد ما كانوا يتهيبون القيام بمثل هذا النشاط .

وبعد ، فهذه التجربة البسيطة زادتنى إيماناً بفائدة المعسكرات الدراسية ، وبضرورة إدخالها ضمن برامج إعداد المعلمين والمعلمات . فالمدرس غالبا ما يتبع فى تدريسه نفس الأسلوب الذى تعلم به ، وليس الأسلوب الذى قرأ عنه فى الكتب ، أو استمع إليه فى المحاضرات .